النقد الأدبي في صدر الإسلام ج2

ثانيا: الخلفاء الراشدون:

تبنى الخلفاء الراشدون موقف النبي صلى الله عليه وسلم وآراءه في الشعر والشعراء وأخذوا يقيمون الشعر ويفاضلون بين الشعراء انطلاقا من هذا الموقف، فحين سمع أبو بكر قول زهير في هرم ابن سنان:

والستر دون الفاحشات وما يلقاك دون الخير من تستر

أي يكون سترا على الفاحشات دون الخيرات، حين سمع ذلك قال: هكذا والله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أكمل قائلا: أشعر شعرائكم زهير.

ويروى أنّه كان يقدم النابغة الذبياني على الشعراء ويقول: هو أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرًا وأبعدهم قعرًا.

واحتذى عمر بن الخطاب حذو رسول الله في المقياس النقدي الذي يقيم به الشعر وهو مقياس المطابقة لروح الإسلام، يروى أنه استغرب مرّة رثاء الخنساء بسادات مضر مع أنهم في النّار، وسأل عمر مرّة ابن عباس: هل تروي شاعر الشعراء، فقال ابن عباس: من هو؟ فقال عمر الذي يقول:

ولو أنّ حمدًا يُخلدُ الناس أخلد ولكنّ حمد الناس ليس بمخلدي

وحين سأله ابن عباس: وبم كان أشعر الشعراء أجابه عمر: "لأنه كان لايعاظل في الكلام، وكان يتجنب وحشي الشعر، ولم يمدح أحدًا إلا بما فيه". ونلحظ في

نقد عمر هذا ظاهرة جديدة لاعهد لنا بها من قبل، فهو حين قدم زهيرًا لم يحكم بذلك فحسب، بل شرح لنا سرّ هذا التفضيل لماذا يفضل عمر زهيرًا، ويعدّه أشعر العرب؟ لأنه سهل العبارة، لاتعقيد في تراكيبيه، ولاحوشي في ألفاظه، وهو بعيد عن الغلو لايمدح الرجل إلاّ بما فيه، وبذلك فإنّه يفضل زهيرًا بأمور ترجع إلى الصياغة والمعاني، وفي هذا الضوء نفهم قوله لأبي موسى الأشعري: "مرْ من قبلك بتعلم الشعر فإنّه يدل على معاني الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب" وكان عمر كما يقول ابن رشيق:" من أنقد أهل زمانه للشعر، وأنفذهم فيه معرفة"، ولم يقتصر موقف عمر على الثناء على الشعراء الذين يستلهمون أخلاق الإسلام، وإنّما تعداه إلى معاقبة من يخالفها كما فعل مع الحطيئة النجاشي.

وكذلك كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه مهتمها بالشعر ونقده، وكان يقول عن الشعر:"الشعر ميزان القول" وفي رواية أخرى "القدم" مشيرًا إلى أنه العلم الأكثر صحة. توري كتب الأخبار أنّ عمر بن الخطاب سأل عليّا ،رضي الله عنهما، من أشهر الناس؟ قال: "الذي أحسن الوصف، وأحكم الرصف، وقال الحق" قال: ومن هو؟ قال: أبو محجن الثقفي في قوله: لا تسأل الناس عن مالي وكثرته. قال: أيدتني يا أبا الحسن أيدك الله، ثم قال له: قد صدق في كل ما ذكره لولا آفة كانت في دينه من حبّه الخمر.

من خلال هذه الأخبار والأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه يمكن إلتماس المقاييس النقدية التي على أساسها يقيمون الشعر والشعراء منها:

1- كانت أعمال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله بالإضافة إلى القرآن الكريم مقياسًا لكل قول.

2- الجمال والفن حسب هذه النظرة ينبثق من الدّين ويشكل معه وحدة كاملة، فالجمال ليس قيمة في ذاته، ولا الشعر قيمة في ذاته، بل أن قيمتهما عن مدى ارتباطهما بالدين.

3- المضمون هو الأساس في العمل الشعري، ولا تنفع الشعر الساقط في معانيه جودة سبكه، ورصف ألفاظه، وهذا لا يعني الإستهانة باللغة والشكل، بل يعني إعطاء الأولوية للمعاني على الألفاظ.

وعموما فإن النقد في هذه الفترة لم يختلف كثيرًا عن النقد في العصر الجاهلي، فهو لايزال انطباعيا متسرعًا بسيطا، يفتقر في مجمله إلى التحليل والتعليل والتفسير، غير أنّ هذا النقد يختلف عن النقد الجاهلي في اعتماده الأساس الديني الذي يستند إليه الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء في أحكامهم النقدية، في حين نجد الأحكام النقدية في العصر الجاهلي قائمة على أساس من العرف فقط.